# المدرسة الجعفرية

السلام عليك
يا مولاي يا جعفر بن محمد

١١
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

# المدرسة الجعفرية

المدرسة الجعفرية

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

# بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين واللعنة الدائمة على اعدائهم من الأوّلين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد..

الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام هو الإمام الوحيد من أهل البيت عليهم السلام الذي أتيحت له إمامة دامت أكثر من ثلث قرن، تخصص فيها مجلسه للعلم، دون أن يمد عينيه إلى السلطة في أيدي الملوك، وبهذا التخصص اوصل للأمة مفاتح العلم النبوي، ومنه يبدأ التأصيل الواضح لمنهج علمي عام للفكر الإسلامي.

فالإمام الصادق عليه السلام هو الإمام الذي كان امتدادا لرسالة النبوة وأحد سلسلة الامامة التي قامت على أسس مبادئهم الدينية والفقهية والاجتماعية والاقتصادية مذاهب ومناهج دول عدة.

وهو الإمام الذي علّم الأمة بالمواقف التي وقفها، قدر ما علمها بالمبادئ التي أرساها، فالمواقف أعمال وهي أعلى صوتا من الأقوال، ولقد يعدل الموقف الواحد جهاد عمر كامل، أو مهمة حياة رجل، وهو بمكانه من أهل البيت عليهم السلام، وحقه في الخلافة، وإمامته للفقهاء بلا استثناء، كان هدفا يطلبه اشهر حكام بني العباس ليضيفه إلى قوائم ضحاياه من صناديد الاسلام، أو الشهداء من «أهل البيت عليهم السلام».

ان القادة او اصحاب السلطة الذين يتكلمون اليوم عن الأخذ بأسباب النهضة العلمية بحاجة إلى أن يطلعوا على حياة الإمام الصادق عليه السلام، ليروا مقدار انتشار الدعوة الصادقة

التي تبناها الامام عليه السلام بسبب المبادئ الصحيحة، والخطط القويمة والكفيلة لإقامة دول ومجتمعات قوامها الدين والعلم والعدل والاقتصاد، فالمسلمون تجمعهم أصول فكرية واحدة، وإن اختلفت الفروع أو تعددت الآراء.. ألا وإنه لا صلاح للمسلمين اليوم في مواجهة التحدي العالمي إلا بالوحدة، والعالم الغربي الذي تهز الأفكار المادية والإلحادية عقائده، ويزعزع الرعب النووي اطمئنانه، بحاجة إلى مبادئ الإسلام، وعرض شريعته علميا، كمثل ما عرضها الإمام الصادق عليه السلام على الملاحدة في عصره فكانوا يسلمون، وكمثل ما علّم تلاميذه ومعاصريه قواعد العلم والفقه والاقتصاد التي تكفل للمسلمين النماء الفكري والاجتماعي والاقتصادي، والعالم الغربي الذي يحسب للعالم الإسلامي حساب الطاقة التي خزنتها السماء في الأرض الإسلامية، جمعته الحروب الصليبية في مواجهة العالم الإسلامي.

ان العالم الغربي جدير بأن يواجهه المسلمون كالبنيان المرصوص، لا كهيئة الحجارة المتناثرة، قد بعثرتها أمم غلبت عليها بالقوة من الخارج، وبالتخلف الاجتماعي والعلمي والاختلاف الديني في الداخل، ومن المؤسف ان المسلمين اليوم لا يتقاسمون القوة وإنما يتقاسمون الضعف المادي، في حين يختزنون القيم العليا للتقدم لما يملكوا من ارث النبوة والإمامة، إذ لا وجود لمثله عند سواهم ولو استفادوا منه ما غُلبوا ابدا, فحيثما ابتغوا الوسيلة وجدوا نصر الله.

## المدرسة الجعفرية:

اذا اردنا ان نتكلم عن المدرسة الإمامية الجعفرية لا بد لنا أن نتعرض إلى أصحاب هذه المدرسة ومن أين انحدرت، ولعل للمطّلع والمتابع بعض المعرفة في أن هذه المدرسة جاءت من صدر الرسالة وكان الذي يقود دفتها الرسول الأعظم محمد ﷺ، والانتماء إلى هذه المدرسة يعني الانتماء إلى الإسلام، ثم الانتماء إلى مدرسة الإسلام الأولى ومن خلالها يتعلّم المسلم أنواع العلوم، حيث أن المسلم لا يجد الصعوبة في معرفة الحكمة والمعرفة بكل أنواعها لوجود شخص النبي ﷺ وهو مصدر التشريع بعد الله تعالى، فكان المسلمون كلما واجهتهم مشكلة أو مسألة قد عجزوا عن إدراكها أو حلّها سارعوا إلى الرسول ﷺ ليجدوا الحل الأمثل المطابق للواقع، حاضراً شافياً يثلج صدورهم، وينير أفكارهم، وقد تميز من هذه المدرسة الصحابة الأجلاء الذين كانوا يهتمون لأمور دينهم فيجتهدون في تحصيل العلوم التي تصدر عن رسول الله ﷺ ومن أمثال هؤلاء سلمان المحمدي، وأبو ذر الغفاري، والمقداد بن عمرو، وكان صاحب هذه المدرسة الأولى بعد رسول الله ﷺ هو باب علمه علي بن أبي طالب عليه السلام، الذي هو نفس رسول الله، والذي قال فيه ﷺ: (علي مع الحق والحق مع علي يدور حيثما دار)[1] والذي رفد بعلومه هذه المدرسة التي لا زال المسلمون يجنون ثمارها، وبعد استشهاد الإمام علي عليه السلام تزعم الإمام الحسن عليه السلام الحركة العلمية وترأس مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فكان محطاً لآمال الأمة ومرجعها بالرغم من تعثر تقدم المدرسة أو كان تقدمها بطيئا بسبب الظروف السياسية وظلم الأمويين.

(١) .بحار الانوار/ المجلسي/ ج١٠ ص٤٣٢

ثم جاء دور الإمام الحسين عليه السلام بعد استشهاد الإمام الحسن عليه السلام وتزعمه للمدرسة الربانية التي لا تعتمد سوى ما جاء عن الوحي عن الرسول صلى الله عليه وآله عن علي عليه السلام عن الحسنٍ والحسين عليهما السلام حتى أصبحت مدرسة أهل البيت عليهم السلام مصدراً للإشعاع الفكري ومنهلاً ينهل منه القاصي والداني، وتستمر تطلعات هذه المدرسة وزعمائها تهدف الى تطبيق الدين الحنيف بنسماته الشريفة ورفض أفعال الرذيلة بمحاربة رموز الصنمية رافعاً لواء الشريعة الإلهية فاتسعت أنوار المدرسة الإلهية لتفيض على خارج الجزيرة بعد ثورة الحسين عليه السلام واستشهاده، إذ كان للإمام زين العابدين عليه السلام الدور الفعال في رفد المدرسة ومنتميها بالعلوم والمعرفة من خلال ما كان يتوجه به إلى الأمة في الدعاء والمناجاة فضلاً عن الاهتمام الواسع بالأمة التي تعاطفت مع الثورة الحسينية فحوّل ذلك التعاطف إلى ولاء حقيقي يتشرف به المسلم بانتمائه إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وجاء دور الباقر عليه السلام وولده الصادق عليه السلام لتتطور مدرسة أهل البيت عليهم السلام العلمية فكان مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله مصدر اشعاع لمختلف العلوم حتى قُصِدت المدينة المنورة من شتى بقاع العالم، ليتزودوا وينهلوا من نمير العلوم والمعرفة التي تنوعت وتخصص فيها الرجال كل يبرز ويظهر في علم من تلك العلوم، ومما لا شك فيه فإن مدرسة الامام الصادق عليه السلام ماهي الا امتداد للمدرسة التي وضع أسسها رسول الله صلى الله عليه وآله ودار دفتها من بعده في مدينة الكوفة باب علمه أمير المؤمنين عليه السلام الذي قال فيه النبي الاكرم صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن اراد العلم فليأتها من بابها»[1]

(١) . مستدرك الصحيحين/ الحاكم النيسابوري/ ج٣ ص١٢٧

## المدرسة الجامعة

فتح الإمام الصادق عليه السلام للناس أبواباً من العلوم والمعارف التي لم يعهدوها قبله، وقد ملأ الدنيا بعلمه، وفجر ينابيع الحكمة وأنواع المعارف، ومن أبرز أعماله نشر العلم وإشاعته بين الناس من خلال تنميته لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ونظراً لاتساع منهجية المدرسة وانتقالها من المستوى الخاص إلى المستوى العام فقد بلغت الذرى بعلومها وتميزت عن غيرها من المدارس وأصبحت تسمى مدرسة أهل البيت عليهم السلام بالمدرسة الجعفرية بل حتى المذهب صار يعرف بالمذهب الجعفري نسبةً إلى جعفر بن محمد عليه السلام.

لقد أقدمت المدرسة الجعفرية على إيقاظ الفكر الحر وتطوير المجتمع الإنساني وقد اولدت للإنسانية الصفوة الفكرية والاجتماعية الراقية التي لا زالت لمساتها يقتدى بها[1].

وقد ضمت هذه المدرسة ما يقارب أربعة آلاف من حملة العلم وسارع في الانتماء إليها جميع رواد الفضيلة والعلم من شتى الأقطار الإسلامية, وكان الانتماء إلى هذه المدرسة (مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعد من موجبات الشرف والفخر، فأرسلت الكوفة والبصرة وواسط والحجاز وبلاد المشرق (بلاد فارس) علماءها

(١) . (إن مدرسة الإمام جعفر الصادق عليه السلام قد أنجبت خيرة المفكرين وصفوة الفلاسفة وجهابذة العلم وإذا كانت هناك حقيقة يجب أن تقال فهي: أن الحضارة الإسلامية والفكر العربي مدينان لهذه المدرسة الفكرية بالتطور والرقي والخلود ولعميدها الصادق عليه السلام بالمجد العلمي والتراث الثمين)انظر: حياة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام/ باقر شريف القرشي/ ج١/ ص٧٧.

وأبناءها إلى هذه المدرسة لينهلوا من نمير علوم حفيد النبي الأعظم ﷺ وأخذ أحكام الدين عنه, وقد نال المجتمع الإسلامي بذلك فائدة عظيمة في تأييد الحركة العلمية والمشاركة في بناء كيانها، وأغدقت هذه المدرسة على العالم الإسلامي خدماتها الواسعة الجليلة في بث تلك التعاليم القيمة في عصر ازدهرت فيه شتى صنوف العلم.

## طلاب المدرسة الجعفرية

لما كانت مدرسة الإمام الصادق ثابتة المبدأ متصلة الكفاح وجد طلابها ثروة علمية هائلة وكانوا يحيون فيها حياة فكرية تهذب النفوس وتسمو بالعقول وترتقي بهم إلى أوج المعرفة والكمال، وقد ازدهرت المدينة المنورة في عصر الإمام الصادق عليه السلام وزخرت بطلاب العلم ووفود الأقطار الإسلامية وانتظمت فيها حلقات الدرس وكان مجلسه كجامعة اسلامية يزدحم فيه رجال العلم وحملة الحديث وغيرهم.

وتخصص الكثيرون من طلاب هذه المدرسة في جملة من العلوم والفنون، فقد تخصص هشام بن الحكم في علم الكلام ومباحث الإمامة وكوكبة من طلاب هذه المدرسة مثل هشام بن سالم، ومؤمن الطاق، ومحمد بن عبد الله الطيار، وقيس الماصر... وتخصص زرارة بن أعين، ومحمد بن مسلم وجميل بن دراج، وبريد بن معاوية، واسحق بن عمار، وعبيد الله الحلبي وأبو بصير، وأبان بن تغلب والفضيل بن يسار في علم الفقه وأصوله وعلم التفسير، وتخصص في حكمة الوجود وأسرار الخليقة المفضل بن عمر[1]،

(١) . تناول كتابه الذي أملاه عليه الإمام الصادق عليه السلام أغلب أبواب علم الطب فقد=

وتخصص جابر بن حيان الكوفي في علم الكيمياء[1].

وقد سبق طلاب هذه المدرسة غيرهم من طلاب المدارس الأخرى في التخصصات المتنوعة والتي ساهمت في رفع المستوى المعاشي والاجتماعي والفكري في المجتمع الاسلامي.

هؤلاء الطلاب الذين حملوا علوم أهل البيت عليهم السلام ونشروها في غرب وشرق الدنيا بعد أن ارتشفوا منها نمير علومهم واغترفوا من صافي المعين الذي لا ينضب.

وحتى ان من الدروس التي كانت تعطى وضمن الاختصاصات، دروس في الطب، فمدرسة الصادق عليه السلام أول مدرسة يؤسسها الاسلام في شبه الجزيرة العربية تعنى بالطب في حين لم تكن للعرب يومذاك عناية بالعلاج والوقاية[2] والقواعد العامة لعلم

---

خاص في وظائف الأعضاء، ودوران الدورة الدموية، والجراثيم المسببة للأمراض وتشريح الإنسان وغيرها، إنظر/ حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام/ باقر شريف القرشي/ ج١/ ص٨٣.

(١) . وهو أشهر كيميائي في العالم العربي وقد ألف كتاباً في علم الكيمياء يقع في ألف ورقة تضمنت رسائل الإمام التي بلغت خمسمائة رسالة وكانت هذه الرسائل مصدراً خصباً لعلم الكيمياء وقد استفاد منها علماء هذا الفن فائدة كبرى وقد أثنى على جابر جميع رجال العلم من المسلمين والمستشرقين، راجع الأعلام للزركلي/ ج١/ ص١٨٦.

(٢) . تفشي امراض الطفولة المعدية واذا مرض الكبير تركوه عند الالهة حتى يشفى أو يموت. انظر موسوعة المصطفى والعترة عليهم السلام / الحاج حسين الشاكري/ ج٩ ص ٢٢٧.

الطب التي كانت تتداول وتدرس في مختلف المدارس هي قواعد متشابهة غير مدرسة الصادق عليه السلام فكان لطبه عليه السلام قواعد خاصة كان يستنبطها بنفسه ويضع نظرياتها بدقة.

تتلمذ على الإمام الصادق عدد كبير ليصبحوا للذين جاءوا بعدهم رواة ومعلمين بعد ان أخذوا الفروع والأصول عن الإمام جعفر بن محمد عليه السلام، ورووا ذلك لمن بعدهم على سبيل التواتر القطعي، ورواه هؤلاء، لمن خلفوهم قرنا بعد قرن. فالصادق يروي علم من قبله، ويروي الأئمة من أبنائه علمه كما يرويه تلامذته فهو الحلقة التي تتوسط السلسلة الذهبية، أو العروة الوثقى بين كتب آبائه وبين ما كتب بعده.

اشتغل تلاميذ الصادق عليه السلام بتدوين كل ما يصدر عن الإمام، وعاشوا في عصر نهضة علمية كبرى وبعد وفاة الامام الصادق في عام ١٤٨ هـ دوّن أربعة آلاف من التلاميذ في كل علومه، ومن جملتها ما يسمى (الأصول الأربعمائة). وهي أربعمائة مصنف من فتاوى الامام الصادق عليه السلام وعليها مدار العلم والعمل من بعده، وخير ما جمع منها كتب أربعة هي مرجع الإمامية في أصولهم وفروعهم إلى اليوم، وهي «الكافي» لأبي جعفر محمد بن يعقوب الكليني وفيه ١٦١٩٠ حديثا و«من لايحضره الفقيه» لمحمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي الملقب (بالصدوق) وفيه ٥٩٦٣ حديثا و«التهذيب» و«الاستبصار» فكلاهما لمحمد بن الحسن بن علي الطوسي الملقب بـ(شيخ الطائفة)، وفي التهذيب ١٣٥٩٠ حديثا وفي الاستبصار ٥٥١١ حديثا.

وأخيراً.. نقول ولسنا مبالغين، إن مدرسة الإمام الصادق عليه السلام كانت جامعة اسلامية انسانية شاملة كبرى، خرّجت الفطاحل

من العلماء وحملة الاحاديث الشريفة التي صدرت عن أهل البيت عليهم السلام وانجبت خيرة المفكرين وخلفت تراثا علميا ضخما ومتينا.

## دروس من المدرسة الجعفرية

شهد الإمام الصادق انحدار الناس وتشتت عقائدهم وابتعاد الكثير منهم عن جادة الدين الاسلامي الاصيل اواخر العهد الاموي، وشهد مقدم بني العباس وكيف ناقضوا شعارات دولتهم وحكموا حكم جاهلية، وعلم أن صلاح الأمر لا يكون من خلال السلطة، وإنما بمخالطة الناس بجميع طبقاتهم، فالصلاح في إصلاح الأمة.

ومن الدروس الأولية في هذا المجلس تعليم الناس أن يسعوا لعمارة الدنيا بالعمل للرزق، ومجانبة الخمول والتواكل والبطالة، وبهذا المبدأ أصبح المجتمع القريب من الامام عليه السلام مجتمع العاملين، وبلغ حظه من النماء والاستغناء، والانتفاع بما منحه الله للبشر من مواهب وأتاح لهم من وسائل، ويذكر انه جاء مجلس الإمام عليه السلام يوما جماعة من الزهاد يريدون منه إظهار التقشف والزهد الكامل فقال لهم:

«حدثني أبي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: ابدأ بمن تعول الادنى فالادنى ثم هذا ما نطق به الكتاب ردا لقولكم، ونهيا عنه مفروضا من الله العزيز الحكيم قال: " وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا" أفلا ترون أن الله تبارك وتعالى قال غير ما أراكم تدعون الناس إليه من الاثرة على أنفسهم وسمّى من فعل ما تدعون إليه مسرفا، وفي غير آية من كتاب الله يقول: «إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ» فنهاهم عن الاسراف، ونهاهم

عـن التقتير، لكن أمر بين الامرين لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له للحديث الذي جاء عن النبي ﷺ إن أصنافا من امتي لا يستجاب لهم دعاؤهم: رجـل يدعو على والديه، ورجل يدعـو على غريم ذهب له بمال، فلم يكتب عليه، ولم يشـهد عليه، ورجل يدعو على امرأته، وقد جعل الله عزوجل تخلية سبيلها بيده، و رجل يقعد في بيته ويقول: رب ارزقـني ولا يخـرج، ولا يطلـب الـرزق، فيقـول الله عزوجل لـه: عبـدي ألم أجعل لك السـبيل إلى الطلب والضرب في الارض بجـوارح صحيحة، ... ورجل رزقه الله عزوجل مالا كثيرا فأنفقه، ثـم أقبل يدعو يا رب ارزقني فيقول الله عزوجل: ألم أرزقك رزقا واسـعا؟ فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك، ولم تسرف، وقد نهيتك عن الاسراف، ورجل يدعو في قطيعة رحم»[1].

ان التعاليم الصادرة عن الإمام الصادق عليه السلام ليست مجرد أصول فقهية أو فروع علمية، بل تتعدى كل ذلك لتشـمل كل ما يهم حياة الناس، لذا نجد فيه نشاطا سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، ومن أجل ذلك التنوع في رسـالة الإمام ومقامه من رسول الله ﷺ، كان شعور أبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري وعمرو بن عبيد ونظرائهم أنهم يفتخرون بتواجدهم عند مجلسه ليأخذوا منه العلوم.

ومن المبادئ الخلقية والاجتماعية التي اوردنا بعضها والتي تدل على عزم الامام عليه السلام على تأسيس مجتمع قوي وإعداد الدعاة له، وصيته عليه السلام لأبي أسامة زيد الشحام بخصال يبلغهن من وراءه من «شيعة أهل البيت» قائلا له:

«اقـرأ علـى من ترى أنه يطيعني منهم ويأخذ بقولي السـلام،

(١) بجار الانوار/ المجلسي/ ج٤٧ ص ٢٣٤

وأوصيكم بتقوى الله عز وجل والورع في دينكم والاجتهاد لله وصدق الحديث وأداء الامانة وطول السجود وحسن الجوار فبهذا جاء محمد ﷺ أدوا الامانة إلى من ائتمنكم عليها برا أو فاجرا، فان رسول الله ﷺ كان يأمر بأداء الخيط والمخيط، صلوا عشائركم واشهدوا جنائزهم وعودوا مرضاهم وأدوا حقوقهم فإن الرجل منكم إذا ورع في دينه وصدق الحديث وأدى الامانة وحسن خلقه مع الناس قيل: هذا جعفري فيسرني ذلك ويدخل عليّ منه السرور وقيل: هذا أدب جعفر وإذا كان على غير ذلك دخل علي بلاؤه وعاره وقيل: هذا أدب جعفر».[1]

«اوصيكم بتقوى الله والعمل بطاعته واجتناب معاصيه واداء الامانة لمن ائتمنكم وحسن الصحابة لمن صحبتموه وان تكونوا لنا دعاة صامتين» فقالوا يا ابن رسول الله وكيف ندعو اليكم ونحن صموت ؟ قال: «تعملون بما امرناكم به من العمل بطاعة الله وتتناهون عن معاصي الله وتعاملون الناس بالصدق والعدل وتؤدون الامانة وتامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ولا يطلع الناس منكم الا على خير»[2]، فهو بهذا يربط إحسان العمل بالانتساب لأهل البيت ويضع القواعد المثلى للمجتمع.

وعن إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده المعلى بن خنيس، إذ دخل عليه رجل من أهل خراسان، فقال: يا ابن رسول الله [ أنا من مواليكم أهل البيت ]... وقد قل ذات يدي، ولا أقدر أن أتوجه إلى أهلي إلا أن تعينني، قال: فنظر أبو عبد الله عليه السلام يمينا وشمالا، وقال:« ألا تسمعون

(١) .الكافي/ الكليني/ ج٢ ص٦٣٦

(٢) .مستدرك الوسائل/ الطبرسي/ ج١ ص١١٦

ما يقول أخوكم ؟ إنما المعروف ابتداء، فأما ما أعطيت بعد ما سأل، فإنما هو مكافأة لما بذل لك من [ماء] وجهه... وقد قال رسول الله ﷺ: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة وبعثني بالحق نبيا لما يتجشم من مسألته إياك أعظم مما ناله من معروفك إياك» قال: فجمعوا للخراساني خمسة آلاف درهم[1]، وبهذا اشترك الجميع في أداء الواجب.

وهو القائل « أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيرا»[2]، وقال: «لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت»[3]، وقال: «أبعد ما يكون العبد من الله عزوجل إذا لم يهمه إلا بطنه وفرجه»[4]، وقال: «حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان: حرم القناعة فافتقد الراحة، وحرم الرضا فافتقد اليقين»[5].

وفي باب حق المؤمن على اخيه جاء في وسائل الشيعة عن محمد بن عجلان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل رجل فسلم فسأله: «كيف خلفت من إخوانك؟» قال: فأحسن الثناء وزكى وأطرء، فقال له: «كيف عيادة أغنيائهم على فقرائهم؟» فقال: قليلة، قال: «فكيف مشاهدة أغنيائهم لفقرائهم؟» قال: قليلة، قال: «فكيف صلة أغنيائهم لفقرائهم في ذات أيديهم؟» قال: إنك لتذكر أخلاقا قلما هي فيمن عندنا، فقال عليه السلام: «فكيف يزعم

(١) بحار الانوار/ المجلسي/ ج٩٣ ص ١٤٦

(٢) . الكافي/ الكليني/ ج ٢ ص٣١٦

(٣) .المصدر السابق.

(٤) .المصدر السابق ص٣١٩.

(٥) .بحار الانوار/ المجلسي/ ج٧٠ ص١٦١.

هؤلاء أنهم شيعة؟.[1]

وهكذا كان الامام عليه السلام يؤكد من خلال رسالته، على كل ما يهم الامة في حياتها العلمية والعملية كالفقه والاصول والاخلاق وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الاخرى، فكان منهجه عليه السلام يستهدف عمارة الدنيا بالعدل في الناس، والعمل للحياة، والتكافل بين أعضاء المجتمع، والسعي لاستثمار طاقات الناس وأموالهم بالاضافة الى عمارة الآخرة بالصدق والعمل الصالح ومجانبة الكفر والفسوق.

## مميزات عصر الإمام الصادق عليه السلام

ان العصر الذي عاشه الإمام الصادق عليه السلام كان مختلفا عن عصور الائمة الذين سبقوه عليهم السلام، فقد عاش الإمام عليه السلام عصرا يشوبه معترك سياسي فكري يصحبه البطش الشديد من قبل حكام بني أمية يقابله ازدياد نقمة الناس على الحكم، فبرزت الثورات والانتفاضات المتتالية والتي أدت الى ضعف الدولة الاموية وسقوطها وظهور دولة بني العباس وما بين تلك الدولتين، كان للإمام عليه السلام فسحة يتحرك فيها وسط الأمة وينمي مدرسته ويرفدها بأنواع العلوم والمعارف وقد تميز عصره بما يلي:

١. برزت في عصر الإمام الصادق عليه السلام النهضات والثورات الفكرية، وقد مضى في عصره على الفتوحات الاسلامية حوالي القرن وقد دخل في المجتمع الاسلامي جيلان أو ثلاثة أجيال من المسلمين الجدد ومن شعوب مختلفة وبلدان واسعة فأصبح المسلمون قادة القسم الاكبر من العالم المتمدن، ومع إن هذه

(١) . وسائل الشيعة/ الحر العاملي/ ج٦ ص٢٩٨

القيادة جعلت من المسلمين قوى كبرى على الصعيد العالمي من الناحيتين السياسية والعسكرية، إلا انه نجم عنه انفتاح المسلمين على ثقافات الامم المتحضرة وعلى أعراف تشريعية واوضاع اجتماعية غريبة ومختلفة كنتيجة لتفاعلهم مع الشعوب التي دخلت الاسلام.

٢. بدأت ترجمة الكتب في عصر بني أمية، فدخلت الاسلام ثقافات وآداب مختلفة، فانتشرت الثقافات بكثرة ورافقها حركة فكرية خطيرة كالزنادقة الذين نالوا الحظ الوافر من السلطان العباسي وظهور اختلافات فكرية لم يكن لها نظير كالمعتزلة والمتصوفة والخوارج والمرجئة.

٣. ظهور فوران ونشاط علميين بين الناس، فتحرك المجتمع بحيوية ونشاط نحو العلوم الاسلامية مثل (علم القراءات، علم التفسير، علم الحديث، والمسائل المرتبطة بعلم الكلام والفروع الادبية المختلفة) وباتجاه العلوم الانسانية (كالطب، والفلك والرياضيات).

٤. ضعف الدولة الاموية وسقوطها وظهور دولة بني العباس وقد رفعت المراقبة وانعدم الحذر وأوجدت الحرية الفكرية بين الناس (حرية الفكر، حرية المعتقد)، مما أدى الى ظهور المذاهب الاسلامية المتعددة.

٥. بلوغ التدوين ذروته فقد ألفت المؤلفات في مختلف العلوم من الطب والكيمياء والنجوم ومن هذا العصر ابتدأ التأليف ونشط التدوين عند الشيعة.

استغل الإمام الصادق عليه السلام مميزات عصره فجمع شيعته ومريديه على قواعد المنهج والسلوك المعروفين منذ عهد

جـده زين العابدين عليه السلام ولقد وقف الإمام عليه السلام موقف المصلـح الذي يحاول ان يعيد للأمـة مجدها وذلك من خلال ترسـيخ مبادئ الاسلام الصحيحة في المجتع المسلم ونشر الوعي الاسلامي بما يجب على كل مسلم أن يقوم به في اصلاح الوضع، فقـام عليه السلام بمهمـة التوجيه ليخلـق الوعي بين الصفـوف وليحقق التكامل والتآخي وليقضي على بقايا رواسـب الجاهلية والعصبية القبلية والتي عملت على احيائها السلطات الحاكمة.

قام الإمام عليه السلام بالثورات ضد الظلم والطغيان والانحراف وقادها بنفسـه لكن ثورته لم تكن بقوة السـلاح بل كانت من خلال نشـر الثقافة الاسـلامية والدعوة الى التحلي بالخلق الاسـلامي الرفيع الـذي يفرض على المسـلمين اجتناب المعاصي والمنكرات وحسـن الصحبة والجوار والتعاون والصبر على المكاره والعمل لخير الناس.

## معالم المدرسة الجعفرية

لقـد امتازت مدرسـة الإمـام الصادق عليه السلام الـتي تمثل خط أهل البيـت عليهم السلام بخصوصيـات عـدة لم تكن موجـودة بباقي المدارس المعاصرة في وقتها، وهذه الخصوصيات أو الامتيازات جعلتها من اكبر وأشـهر المدارس العلمية فترسخت فيها العلوم ومنها انطلقت الى مختلف الامصار والشعوب. ومن اهم هذه المميزات:

١. اسـتقلال نهجهـا عـن السـلطات التي كانت تدعـم المدارس الأخـرى القائمـة وقتـذاك، ووضـوح منهجهـا وتعلقـه بالإمامة والسلطة الروحية والذي يمثل نهج وسلوك النبي الاعظم صلى الله عليه وآله.

فكانت للمدرسـة حركة فكريـة اجتهادية تفتح الافاق الذهنية ضمـن إطـار حرية الـراي لكـي ينشـر طلابهـا تعاليم

الاسلام والعلوم كافة بروح المجتهد البصير الذكي الذي يستطيع أن يستنبط ما يفيده في كل ما يستجد له من حالات، وهكذا استمر حال الحوزات العلمية الى يومنا هذا مستقلة في منهجها وسلوكياتها مبتعدة عن الحكومات والسلاطين.

٢. كان يؤمها الطلاب من مختلف الاقوام والجنسيات وتنوع المذاهب، ولم يقتصر على مذهب واحد لأن المذهب الجعفري هو الدين الاسلامي بعينه فقد يكون الطلاب في الحلقة الواحدة من مصر واليمامة والحجاز وإيران والعراق، لذا نجد ان أئمة المذاهب الإسلامية قد تتلمذوا في هذه المدرسة.

٣. الاتصال بالنبي ﷺ فقد كان كل ما يروى في هذه المدرسة يكون قد صدر عن النبي الأعظم ﷺ وكان الباقر عليه السلام عندما يتحدث بحديث يقول: قال رسول الله ﷺ.. ثم يروي حديثه وعندما يسئل عن ذلك، كان يقول إن كل ما أقوله هو عن أبي عن أبيه... عن رسول الله ﷺ عن جبرئيل عليه السلام وقد بذل الإمام وآباؤه عليهم السلام عناية فائقة لتقويم الأخلاق وتغيير الأوضاع الاجتماعية باتجاه القواعد والموازين والقيم الثابتة في الشريعة الإسلامية وذلك من خلال نشر الأحاديث النبوية الشريفة المرتبطة بالجوانب الأخلاقية والاجتماعية لكي تكون هي الحاكمة والمراقبة على الممارسات السلوكية والعلاقات الاجتماعية ولكي تكون نبراساً لأفراد المجتمع.

٤. المرونة من أهم ما تميز به فقه أهل البيت عليهم السلام مما فتح باب الاجتهاد، وهذا يدل على حيوية فقه أهل البيت عليهم السلام وتفاعله مع الحياة واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان وأنه لا يقف مكتوفاً أمام الأحداث المستجدة التي يبتلى بها الناس.

٥. الرجوع إلى حكم العقل، حيث تفرد فقهاء

الإماميــة عن بقية المذاهب الإســلامية فجعلوا العقل واحــداً من المصــادر الأربعة لاســتنباط الأحكام الشــرعية وأضفــوا عليه ألــوان التقديس واعتبروه النــبي الباطني والحجة مــن الداخل كما النبي حجة من الخارج وأنه مما يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان وأن للعقل مسرحاً كبيراً في العلوم.

## أسباب انتشار نشاط المدرسة الجعفرية:

١- **ضعف الدولة الأموية:** بعد معاناة الشعوب المسلمة من جور الســلطة الأموية ظهرت الانتفاضــات والثورات المعارضة لهم حتى انتشــرت على بقاع الدولة الإســلامية وهذا أدى إلى ضعف الدولة وحكامها الغارقين بمســتنقع الرذيلة، لا شــيء يحرك أحاسيسهم سوى عرش الخلافة، فاضطربت الدولة واشتد الخلاف بين ولاة الأمصــار وأهلهــا فثار أهل حمــص ووثب أهل فلســطين ووقعت الحــرب بين أهل اليمامة وعاملهم وهكذا... وبســبب ذلك الضعف تحرك نشــاط المذهب الجعفري بعد أن رفعــت المراقبة والضغط الشديدين من قبل السلطات على المذهب ونشاطه.

٢- **ظهــور الدولــة العباســية:** والــتي نجحت في تســلم خلافة المســلمين على اطلال الدولة الأموية من خلال شعاراتها الدينية، وهذا ســاعد في أن المذهب عمل بحرية تامة واتســعت دائرة عمله لأن الدولة جاءت بشــعارات تهدي إلى الرضا لآل محمد ﷺ وأنها دولــة فتيــة تحتاج إلى إبداء حريــة الرأي والفكــر وإظهار تأييدها للمــدارس الفكريــة أو على الأقل تغض البصــر عن تلك المدارس والآراء ولو لفترة إلى حين تركز قواعدها وبناء دولتها.

**٣- تـرؤس الإمـام الصـادق عليه السلام زعامـة الحركـة العلميـة:** فهـو من أهل بيت النـبي صلى الله عليه وآله وكان يتصف بصفات الكمـال التي بعثت الإعجـاب في نفوس الأمة وعلى اختلافهم في الآراء والمعتقـدات ولـه القدم الراسـخ والباع الطويـل في كل علمٍ والنظـر الثاقب في جميع المعارف، فضلاً عن أنه عليه السلام كان مقبولاً عند جميع المذاهب وذلك لاعتقادهم السـائد بأن الإمام الصادق عليه السلام هـو من أحفـاد أبي بكر وشـاع حديثه عليه السلام: (ولدنـي أبو بكر مرتـين)[1] ويقـال له عمود الشـرف ومناقبـه متواترة بـين الأنام مشهورة بين الخاص والعام.

**٤- بلوغ التدوين والتأليف أقصى حدودهما في عصر الإمام الصادق عليه السلام:** حيث برزت ظاهرة النسـخ والتدوين، فمع انتشـار التدويـن انطلـق التأليـف وانطلقـت الأقلام في تسـجيل وضبط فضائـل الأئمة الطاهريـن وما يصدر عنه من علـوم ومعرفة ولم ينحصر الأمر على علماء الشيعة في التأليف عما يصدر عنهم عليهم السلام بل تعداه إلى علماء المذاهب الأخرى.

**٥- انتشـار تلاميـذ الإمـام الصـادق عليه السلام في أرجـاء المعمورة** وغلبتهم على مناظريهم وعلى اختلاف أفكارهم. وقد أحصي عدد طلاب هذه المدرسة بأربعة آلاف[2] طالب ينتمون إلى مختلف بقاع العـالم ومـن مختلف الجنسـيات فكان لهم الفضـل الأكبر في نقل علـوم أهل البيت عليهم السلام المأخوذة عن مدرسـة الإمام عليه السلام إلى أوسـع

(١) . أمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر وأمها أسماء بن عبد الرحمن بن أبي بكر.

(٢) . سيأتي الكلام عن تلاميذ هذه المدرسة (المدنية والكوفية) ومؤلفاتهم.

رقعة جغرافية على وجه البسيطة[1].

## اهداف المدرسة ا لجعفرية:

اشتهرت وتميزت مدرسة الإمام الصادق عليه السلام بكثرة طلابها وتنوع علومها والتخصص في مختلف العلوم الدينية والإنسانية وقيل أن طلابها بلغ عددهم الأربعة آلاف طالب، وكما اشتهر وعرف عن طلاب هذه المدرسة العظيمة بكثرة التأليف وفي مختلف العلوم، وقد صدرت عنهم كتباً ورسائل في الحديث والفقه والتفسير والكلام والطب والكيمياء وغيرها من العلوم، وقد بلغوا الذروة في فهم الحديث وفقهه واستنباط الأحكام من مصادرها.

ولما ظهرت في عهد الإمام الصادق عليه السلام فرق ومذاهب فقهية وكلامية واعتقادية كثيرة كان موقف الإمام عليه السلام من هذه الحركات هو التسديد والحوار العلمي والنقد المهني النزيه وكان قد وجه مدرسته لغرض تحقيق هدفين رئيسيين هما:

١- حماية العقيدة الإسلامية الحقة من التأثر بالتيارات العقائدية والفلسفية الإلحادية والمقولات والرسائل الضالة التي انتشرت كالزندقة والغلو والتأويلات العقائدية التي لا تنسجم مع عقيدة التوحيد الحقة، ولذا انصبت جهود الإمام عليه السلام للحفاظ على أصالة عقيدة التوحيد وتصحيح الأفكار والمعتقد على ضوء نقاء العقيدة الإسلامية، وقد هيأ الإمام عليه السلام تلامذته للقيام بدوره وسط المجتمعات المسلمة ومن أمثال هؤلاء هشام بن الحكم فقد برز في علم الكلام وقد أجاد الجدال والمناظرة فقام بالدفاع

(١) .إن هذه الأسباب المجتمعة لم تتوفر لأحد من الأئمة عليهم السلام غير الإمام الصادق ، لا قبله ولا بعده.

عن عقيدة التوحيد وحمايتها من المعتقدات الضالة كمعتقد الجبر والتفويض والتجسيم والغلو وأمثالها من الآراء والمعتقدات الشاذة عن عقيدة التوحيد.

٢- نشر الإسلام: حيث كان الهدف الثاني لمدرسة الإمام الصادق عليه السلام وتوسيع دائرة الفقه والتشريع وتثبيت معالم الرسالة الإسلامية وحفظ أصالتها.

وكان علماء الشيعة يستندون في استنباط الأحكام الشرعية على كتاب الله وسنة نبيه التي تصل إليهم بواسطة الأئمة عليهم السلام، ولا بد من القول بأن في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفي عهد الصادقين عليهما السلام وضعت القواعد العامة للفقه الجعفري ونُقلت إلى العصور التي تليها على شكل روايات حتى وصلت إلينا، وقد وضعت هذه الروايات على طاولة البحث العلمي فكانت النتيجة ظهور القواعد الأصولية [١] والفقهية التي يعتمد عليها المجتهد إلى يومنا هذا.

وكما أسلفنا أن هذه المدرسة تتصل بالنبي صلى الله عليه وآله عن طريق عترته الطاهرة وبذلك استغنى علماء المدرسة الجعفرية عن القياس والاستحسان وتركوا كل ما لم يدل عليه دليل قطعي يؤكد حجيته وصدوره عن المعصوم، فدونوا الأصول والفروع في حياة الأئمة عليهم السلام وصدر عنهم مجاميع حديثية عدة في حياة الأئمة عليهم السلام وبعدهم حتى وصلت إلى المحدثين الثلاثة ـ كما اسلفنا ـ أبي جعفر الكليني[٢] فألف الكافي في الأصول والفروع بثمانية أجزاء، والصدوق[٣]

(١) . القواعد العملية (الإستصحاب، البراءة بقسميها، قاعدة اليد، الترجيح في الروايات المتعارضة).

(٢) . أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت ٣٢٨-٣٢٩هـ).

(٣) . أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت ٣٨١هـ).

الـف كتـاب من لا يحضـره الفقيه في أربعـة أجزاء، والطوسي[1] كتاب التهذيب في عشرة أجزاء والاستبصار في أربعة أجزاء.

وهـذه المجموعة من الكتب تمثل أصول وفروع المذهب الجعفري وتسمى بالأصول الأربعة.

## علوم المدرسة

وعلـى عجالة سـريعة نسـتعرض بعـض العلوم الـتي تدرس في الجامعة الجعفرية وبعض من برز دوره في تنمية العلم وازدهاره في ظل توجيهات الإمام الصادق عليه السلام ومن ذلك ما يلي:

**١- التفسير:**

وهـو العلـم الـذي يبحث فيـه عن أدلـة آيـات الكتـاب الكريم ومقاصدهـا ومعانيهـا، وقد برز في هـذا الفن جملة من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ومنهم زرارة بن أعين الذي اشتهر بتأليفه عدة مؤلفات تختص بالكتاب العزيز منها:

١- كتاب معاني القرآن.

٢- كتاب القراءات.

٣- كتاب الفضائل.

٤- الأصول في الرواية.

٥- غريب القرآن... وغيرها[2].

(١) . أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ).

(٢) . حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام/ باقر شريف القرشي/ ج١ ص٨٢.

## ٢- علم الكلام:

وهو علم يبحث عن الوحدانية والصفات والوجود والنبوة والإمامة والمعاد بالأدلة العقلية التي تستمد من الأسس المنطقية، وكان للمدرسة الجعفرية دور بارز في هذا الفن، وقد برز فيه هشام بن الحكم، وهشام بن سالم الجوالقي، ومحمد بن علي البجلي المعروف بـ(مؤمن الطاق) وقد يكون هؤلاء هم من أبرز من تكلم من هذه المدرسة العظيمة وناظروا أصحاب المذاهب المتنوعة، كما أن هشام بن الحكم كان موضع اهتمام وعناية وثقة الإمام الصادق عليه السلام لتميزه عن أقرانه بقوة الحجة وسرعة البديهية والخاطرة والاتساع في الذهنية والبراعة في الإبداع.

وقد نقل هشام عن الإمام عليه السلام الكثير من النظريات والأسس الكلامية التي يتقوم بناؤها على معطيات الإيمان الفطري والفهم الواعي لآيات الكتاب الكريم والفاظ السنة المباركة، ومن مؤلفات هشام: (كتاب الإمامة، كتاب الدلالات على حدوث الأشياء، كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول، كتاب الميزان، كتاب القدر، كتاب الحكمين، كتاب اختلاف الناس في الإمامة، كتاب الألفاظ، كتاب علل التحريم، كتاب الرد على القدرية، كتاب التدبير، كتاب الثمانية أبواب، وغيرها من المؤلفات)[1]

وألّف مؤمن الطاق: (كتاب الإمامة، كتاب المعرفة، كتاب إثبات الوصية، كتاب الرد على المعتزلة، كتاب افعل لا تفعل وغيرها من المؤلفات القيمة).

(١) . حياة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام/ باقر شريف القرشي/ ج٢ ص٣٤٢.

### ٣- علم الفقه والتشريع:

وهو العلم الذي يبحث فيه عن الأحكام الشرعية التي تختص بأفعال المكلفين وهو أوسع العلوم اهتماماً في مدرسة الإمام عليه السلام وهي تمثل الالتزامات العملية التي يقوم بها نظام الحياة العامة والخاصة وتقوم بتنظيم العلاقات القانونية الفردية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها مما يحتاج إليه في استقرار النظام العام.

وما قدمه الإمام عليه السلام من عطاء في هذا المجال يعد من أهم مصادر التشريع للفقه الإسلامي وترجع إليه جميع المذاهب، لاسيما ارتباط أول حركتها ونشوئها بالمدرسة الجعفرية، وقد تخرج من هذه المدرسة أئمة الفقه الإسلامي كأبي حنيفة النعمان، ومالك وسفيان الثوري وسفيان بن عيينة ومن أعلام الشيعة كزرارة بن أعين وابن عمير وجميل بن دراج، ومحمد بن مسلم وغيرهم من أعلام التشريع.

أما مؤلفاتهم في هذا الفن فقد ملئت الصروح العلمية الإسلامية.

### ٤- علم أصول الفقه:

أول من فتح باب الأصول وفتق مسائله الإمام محمد الباقر عليه السلام وبعده الإمام الصادق عليه السلام وقد أمليا على مجموعة من تلاميذ المدرسة الجعفرية قواعده ومسائله وقد ألفت الكتب الأصولية من طلاب هذه المدرسة ككتاب أصول آل الرسول، وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة وكتاب الأصول الأصلية وكلها ترجع إلى روايات أهل البيت عليهم السلام، وقد ألف هشام بن الحكم كتاب في مباحث الألفاظ وقد تحدثت كتب الحديث بقواعد الحديث ومبانيه.

وكان الدافع لوضع الأصول والقواعد العامة للاستنباط هو أن كثيراً من الأحكام التي تخص المكلفين يصعب عليهم معرفتها عن طريق الأخبار التي قد لا تصل إليهم أو ربما لا يمكنهم سؤال المعصوم عنها سواء في زمن الشهود أو الغيبة، فكانت الحاجة مطلوبة لوضع قواعد وأصول تتكفل بتعيين الحكم التكليفي أو الوضعي والتي تحدد وظيفة المكلف.

**٥- علم الطب:**

ورد عن الإمام الصادق عليه السلام الكثير من التوجيهات الطبية والإرشادات الصحية، وصدر عنه عليه السلام شروحا في الطبائع وفوائد الأدوية وعلم التشريح وبيان وظائف الأعضاء وحكمة وضعها في المواضع التي فيها، وقد صدرت مؤلفات في هذا الفن تسمى بطب الأئمة.

**٦- علم الكيمياء:**

وهو من العلوم التي فتقها الإمام الصادق عليه السلام وأملى موضوعاته على جابر بن حيان الذي اشتهر في تأليف رسائله العلمية في الكيمياء وأنه كان يؤكد على أن العلم الذي تحويه مؤلفاته كان من عبق النبوة ومن صاحب الرسالة محمد صلى الله عليه وآله وأنها وصلت إليه عن طريق ولده الصادق عليه السلام.

**٧- علم الفلك:**

كان طلاب العلوم وحملتها يفزعون إلى الإمام الصادق عليه السلام عندما يستشكل عليها أمراً ما، وكانوا يلوذون بالإمام عليه السلام لمعرفة ما يدور حولهم وفي سمائهم، وقد دخل علم الفلك والنجوم إلى المدرسة الجعفرية لاستجلاء الغموض الذي تعسر

على مريدي هذه المدرسة. وقد انتصر وفند الإمام الصادق عليه السلام نظرية بطليموس[1] القائلة بدوران الشمس حول الأرض في يوم وليلة.

وهكذا تستمر المدرسة الجعفرية لتمد العالم بأسره من علومها التي ظهرت على يد أئمة أهل بيت الرحمة عليهم السلام، ولتكون أكبر مدرسة معطاء صدر عنها أنواع المعارف والعلوم حتى يومنا هذا فنرى الحوزات العلمية زاخرة زاهرة بعلوم أهل البيت عليهم السلام ينطلق منها نور الهداية الحقة والطرق المؤدية إلى الصراط المستقيم، يقبع حملة العلوم حافين بالعلماء مستفيدين مما يصدر عنهم، وها نحن اليوم نرى بعد سقوط الصنم كيف انتعشت الحوزات العلمية في العراق وبالخصوص في المدن المقدسة مثل كربلاء والكاظمية بعد أن كانت حوزة العراق منتمية إلى حوزة النجف فقط، إذ تدرس في هذه الحوزات العلوم المختلفة التي نقلها الينا السلف الصالح الذين عاصروا الأئمة عليهم السلام لتكون لنا عوناً وساعداً قوياً نرجع إليها في مشاكلنا العلمية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

## الدرس الاخير

مضت الأيام والناس بين البأساء والنعماء، والفزع والرجاء لانتشار الظلم والتنكيل والعقائد الفاسدة، والإمام في دروسه ومجالسه يرسي مبادئه للأجيال القادمة يدافع عن دين الله ورسالة جده النبي الاكرم محمد صلى الله عليه وآله ويهدي بالقول والعمل ولم

(١) . هو الذي بنى مدرسة الاسكندرية المعروفة باسم الرواق وجمع فيها جميع علوم تلك الأزمان من فلسفة ورياضيات وطب وحكمة وآداب.

يتوقف عن الدفاع عن حقوق اللّه والعباد وكان يهيء الناس لما بعد موته من خلال بث الوصايا هنا او هناك، فمال الكثيرون لساحته تهوي إليه الأفئدة من بعيد وقريب وينكب عليه التلامذة من أشياخ العلماء

احس الامام الصادق عليه السلام بغدر ابي جعفر المنصور وعزمه على قتله بعدما رأى التفاف الناس حوله واستشهد مسموما بعنب في الخامس والعشرين من شوال سنة ١٤٨ هـ عن عمر ناهز الرابعة والستين قُدّم له بأمر الحاكم العباسي.

ولم يتوقف عليه السلام من تعليم وتوجيه كل من حوله وهو في ساعاته الاخيرة، فقد جاء عن الميثمي عن أبي بصير قال: دخلت على ام حميدة اعزيها بأبي عبد الله عليه السلام فبكت وبكيت لبكائها ثم قالت: يا أبا محمد لو رأيت أبا عبد الله عليه السلام عند الموت لرأيت عجبا فتح عينيه ثم قال: «أجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة»، قالت: فلم نترك أحدا إلا جمعناه قالت: فنظر إليهم ثم قال: «إن شفاعتنا لا تنال مستخفا بالصلاة»، وعن سالمة مولاة أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام قالت: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام حين حضرته الوفاة واغمي عليه، فلما أفاق قال: «أعطوا الحسن بن علي بن علي بن الحسين وهو الافطس سبعين دينارا، وأعط فلانا كذا، وفلانا كذا»، فقلت: أتعطي رجلا حمل عليك بالشفرة، يريد أن يقتلك ؟ قال: «تريدين أن لا أكون من الذين قال الله عزوجل والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب، نعم يا سالمة إن الله خلق الجنة فطيبها وطيب ريحها وإن ريحها يوجد من مسيرة ألفي عام،

ولايجد ريحها عاق ولا قاطع رحم»[1].

صعدت روح الإمام إلى بارئها لتغيب عن الدنيا شمس من شموس الاسلام ويلوح في السماء نجم جديد بإمام جديد.

روى أبو أيوب الخوزي قال: بعث إلي أبو جعفر المنصور في جوف الليل، فدخلت عليه وهو جالس على كرسي، وبين يديه شمعة وفي يده كتاب، فلما سلمت عليه رمى الكتاب إلي وهو يبكي وقال: هذا كتاب محمد بن سليمان، يخبرنا أن جعفر بن محمد قد مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون - ثلاثا - وأين مثل جعفر ؟ ثم قال لي: اكتب، فكتبت صدر الكتاب، ثم قال: اكتب إن كان أوصى إلى رجل بعينه فقدمه واضرب عنقه، قال فرجع الجواب إليه: إنه قد أوصى إلى خمسة أحدهم أبو جعفر المنصور، ومحمد بن سليمان [والي المدينة]، وعبد الله، وموسى ابني جعفر، و حميدة [زوجه]، فقال المنصور: ليس إلى قتل هؤلاء سبيل[2].

هكذا يأمر بقتل من يجهله دون وازع من ضمير، فاين ذهبت دموعه واسترجاعه ثلاثا؟ وكان أبو جعفر المنصور يسابق الموت إلى من ستتم الوصية إليه، ففوتت عليه وصية الإمام عليه السلام بغيته، فذلك لا ينم إلا عن خوف عميق استقر في قاع نفوسهم ليقينهم انهم استخلفوا الناس بالسيف لا بالإيمان والعمل الصالح كما كان لائمة اهل البيت عندما أسروا قلوب الناس باخلاقهم ودينهم ورسالتهم السمحاء.

تولى الإمامة موسى الكاظم عليه السلام بعد أبيه فتتابع في حياته عهد

(١) . بحار الانوار/ المجلسي/ ج٤٧ ص٣

(٢) .المصدر السابق.

المهدي والهادي ثم عهد الرشيد، وحاز خلافة القلوب دون أن يمد عينا أو فكراً إلى الخلافة الدنيوية، ومع هذا حبس الرشيد الإمام الكاظم عليه السلام واستشهد مسموما بأمر منه سنة ١٨٣هـ.

## مظلومية الإمام الصادق عليه السلام

لقد ظُلم الإمام الصادق عليه السلام كثيراً في حياته واستمر هذا الظلم عليه حتى بعد استشهاده، أما في حياته فكانت مظلوميته واضحة جليّة حيث جار عليه حكام عصره حتى بلغ الأمر الى قتله عليه السلام فكانت أول مبادرة لحكام بني العباس في التعرض الى الائمة عليهم السلام هو تجرؤ ابي جعفر المنصور على مقام الإمامة والاقدام على قتل الإمام جعفر الصادق عليه السلام وذلك بدس السم اليه.

وأما مظلوميته بعد استشهاده، فإن من اعراف الشعوب وسلوكياتهم تعظيم وتمجيد علمائهم وحكمائهم ورموزهم الذين قاموا بتقديم الاراء والافكار والنظريات التي تساعدهم على التقدم والرقي والازدهار، وتدخل هذه الشخصيات التأريخ من أوسع ابوابه مع أطر المدح والثناء والاحتفاء، وعلى مر التأريخ تبقى سيرتهم ممدوحة محمودة لدى شعوبهم فيحتفلوا بذكرهم احياءً لآثارهم، فصناع المجد يخلدون في ضمائر الشعوب والامم، وقد نرى في يومنا هذا صورة في شارع رئيسي لأحد علماء تلك الدولة، ونصب من رخام يخلد حادثة أو اختراع للعالم الفلاني أو تمثال من البرونز لشخص مشهور بنظرية او اكتشاف... هكذا عرفت سنن الشعوب بتخليد الاشخاص في ذاكرة الامم.

وأشد مظلومية وقعت على الإمام الصادق عليه السلام ملهم الأمة وصاحب المدرسة الفكرية العلمية العالية السامية

والـتي تمتد أصولها الى الرسـول الاعظم ﷺ، والتي دفعـت بالعلـوم المختلفة الى ذرى العطـاء والمنفعة، هو جحود فضله بعد ان كانت مدرسـته سـببا لانطلاق جميع أصول العلوم الانسـانية والعلمية وإن صاحب هذه المدرسة العظيمة معروفا من قبـل علماء الأمة ولدى جميـع أطيافها ومذاهبها بـأن له الفضل الأكبر في اكتشاف وتطوير جملة من العلوم (الاجتماع، الاقتصاد، الشـريعة، الطب وغيرها) وعلى هذا الاحسـان الذي قدمه للأمة - ومما يؤسـف- له فقد بادر بعض الأمة بمجازاته بعدم ذكره في أي مجـال علمـي ولا محفل اسـلامي ولا تذكير بآثـاره، بل وصل التمـادي في ظلمـه أن لا يبقـى لـه أثر، إذ قام بعض المحسـوبين على الاسـلام بهدم قبره مع ائمة البقيع عليهم السلام في الثامن من شـوال سنة ١٣٤٤هـ، ولو كان هذا الامام العظيم والعبقري الحصيف في أمة غـير أمتنا، لوجدت أكثر دول العـالم تفتخر بأنٍ يكون منها، ولوجـدت لـه في كل زاوية علمية ذكرا، وذلـك عرفاناً له بالجميل والاحسان الذي قدمه الى الأمة.

ومهما يكن من امر فإن امامنا الصادق عليه السلام كجده وآبائه عليهم السلام هم مفخرة لنا ونعمة لايمكن ان يجحدها أحد ومن حقنا ان نقول بعد ان منّ الله علينا بان جعلنا من اتباعهم واشياعهم:

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللّه»[1]

(١) . الاعراف ٤٣

الفهرس

المقدمة ..... ٣
المدرسة الجعفرية ..... ٥
المدرسة الجامعة ..... ٧
طلاب المدرسة الجعفرية ..... ٨
دروس في المدرسة الجعفرية ..... ١١
مميزات عصر الإمام ..... ١٥
معالم المدرسة الجعفرية ..... ١٧
أسباب انتشار المدرسة الجعفرية ..... ١٩
أهداف المدرسة الجعفرية ..... ٢١
علوم المدرسة ..... ٢٣
مظلومية الإمام الصادق عليه السلام ..... ٣٠

تعزي الأمانة العامة

للعتبة الكاظمية المقدسة

صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه

والمراجع العظام والعالم الإسلامي كافة

بذكرى استشهاد الإمام

جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

الشؤون الفكرية والثقافية

راسلونا fikriya@aljawadain.org

زوروا www.aljawadain.org